سلسلة كتيبات شبكة بينونة

حسنة التوحيد

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

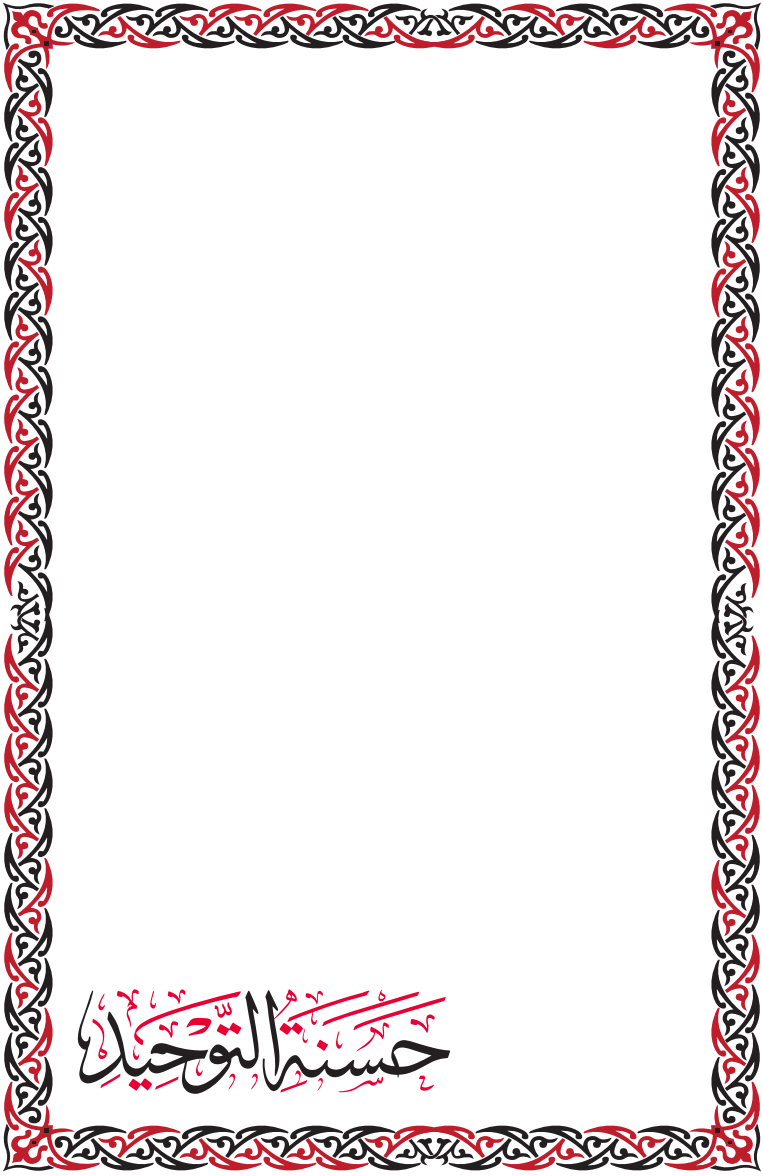
حسنة التوحيد

حسنة التوحيد

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علىٰ فضله وإحسانه، والشكر له علىٰ توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

فإنَّ أصدقَ الحديث كلام الله تعالىٰ، وأحسن الهدي هدي محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد ... فيا معاشر المسلمين: إنَّ من أصول الإيمان التي فرضها الله جَلَّوَعَلَا علىٰ عبادهِ الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ

وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [البَقَرَة الآية ٢٨٥].

ومن الإيمان بالرسل اعتقاد أنهم متفاضلون فيما بينهم، ومتفاوتون في منازلهم عند ربهم جَلَّوَعَلَا كما قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٣].

عباد الله: ومما لاريب فيه أن أعلىٰ الأنبياء قدرًا، وأجلهم منزلةً وفضلًا نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ إذ هو صلوات ربي وسلامه عليه أجلُّ رسول أُرسل، وأفضل نعمة امتن بها ربنا جَلَّوَعَلَا علىٰ عباده.

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤].

نعم أيّها الناس: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

[آل عِمرَان: ١٦٤] ضلالٌ في الاعتقاد، وضلالٌ في العبادات، وضلالٌ في الأخلاق، شرك بالله جَلَّوَعَلَا وعبادة للجمادات، قطع للأرحام، سفكٌ للدماء، هتكٌ للأعراض، اعتداءٌ علىٰ الممتلكات ونهب للأموال، يتعالىٰ الكبير علىٰ الصغير، ويأكلُ القوي الضعيف، والغنيُّ الفقير.

فما أن بُعث صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا وأشرق بفضل بعثته التوحيدُ علىٰ ذلكم الظلام الحالك، وقامَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ببيان الإسلام خير قيام ، قولًا وعملًا، ليلًا ونهارًا، سرًّا وعلانية، فما من حسنةٍ إلا دعا إليها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبيَّنها أحسن بيان، وما من سيئةٍ إلا وحذر منها وبيَّن سوء عاقبتها.

ألا وإنَّ من أحسنِ الحسنات التي بيّنها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأمضىٰ قريبًا من نصف زمن بعثته في شرحها وبيان فضلها، والنهي عن كل ما يضادها أو يُخل بها حسنةَ التوحيد.

نعم أيها المسلمون: حسنةُ التوحيد لا إله إلا الله، روىٰ الإمام أحمد وغيره من حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: «**إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنَ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: «**هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ**»(١).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[الأنعام: ١٦٠].

﴿**مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ**﴾ من جاء بلا إله إلا الله، ﴿**وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ**﴾ أي بالشرك.

كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يفتر عن بيان هذا الحق لله، وعن شرح تفاصيل هذه الحسنة حتىٰ وهو في سكرات الموت.

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما نُزِلَ، أي نَزَلَ الموت، برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طفق أي أخذ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا اغْتَمَّ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٤٨٧).

بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا [٢].

واتخاذ القبور مساجد؛ يكون ذلك بالبناء عليها ،رفعها، أو الصلاة عليها والسجود عليها، أو بالاتجاه نحوها، كل ذلك من اتخاذ القبور مساجد الذي حذر منه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

بدأ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالدعوةِ إلىٰ هذهِ الحسنة، و وعد بالفلاح لمن قام بحقها فقال: «**قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**» [٣].

كان من عظيمِ بيانه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لهذه الحسنة هو غرسُ عظمةِ الله تبارك وتعالىٰ في قلوبِ العباد، وذلك بالإخبارِ عن مخلوقات الله جَلَّوَعَلَا الكبيرة العظيمة التي لا تخطر بالبال .

يقول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ**» .

---

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، وأخرجه مسلم (٥٣١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٠٢٣).

وهو موضع قَدَمَي الرب جَلَّوَعَلَا، «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ» أي عرش الرب جَلَّوَعَلَا. «عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ الْحَلَقَةِ» (٤).

و قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ»؛ تأملوا هذا الموضع فقط، ما قدره؟ «إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ» (٥).

لما جاءَ إليه عدي بن حاتم قال له صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ داعيًا إياه إلىٰ حسنةِ التوحيد، ومبينًا استحقاقَ الرب جَلَّوَعَلَا للعبادة وحده، قال له: «مَا يُفِرُّكَ»؛ أي ما الذي يحملك علىٰ الفرار والهروب؟

«مَا يُفِرُّكَ أَنْ تَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ

(٤) أخرجه ابن حبان (٣٦١).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧).

سِوَىٰ اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا تَفِرُّ أَنْ تَقُولَ اللهُ أَكْبَرُ، وَتَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرُ مِنَ اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا... الحديث[٦]. رواه الترمذي.

كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيها المسلمون: لا يدع سبيلًا إلىٰ الإخلال بهذا الحق، حق الله جَلَّ وَعَلَا، أو أنْ تُمسَ هذه الحسنة حسنة التوحيد بسوءٍ أبدًا؛ أيًا كان هذا الشيء المؤثر قولًا أو عملًا أو اعتقادًا، وسواءٌ كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفرٍ أو حضرٍ.

يقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ» قَالَ عُمَرُ: فَوَاللهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عنها ذَاكِرًا؛ أي عامدًا وقاصدًا الحلف بغير الله، وَلاَ آثِرًا [٧] أي ولا حتىٰ ناقلاً لقول أحد يحلف بغير الله.

---

(٦) أخرجه الترمذي (٢٩٥٣).

(٧) أخرجه البخاري (٦٦٤٧)، وأخرجه مسلم (١٦٤٦).

أفلا يتعظ بهذا من يحلف بغير الله؛ بالأمانة، أو الشرف، أو رأس الأب والأم ونحو ذلك.

يُخبر الصحابي الجليل أبو بشير الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعضِ أسفاره، فأرسلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا «**لاَ يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلاَدَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلاَدَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ**» (٨).

أيُّها الناس: ومع منزلته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجليلة، و مقامه العظيم عند ربه جَلَّ وَعَلَا كان ينهىٰ عن المبالغة في مدحهِ، وإنزاله في غير منزلتهِ حمايةً لهذا الحق وخشية الغلو من الإخلالِ بحسنةِ التوحيد.

جاء وفدُ بني عامر إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السَّيِّدُ اللهُ**»، قَالُوا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، قَالَ: فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُولُوا**

(٨) أخرجه البخاري (٣٠٠٥)، وأخرجه مسلم (٢١١٥).

بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» [٩] أي لا يستميلكم إلىٰ أن تقولوا قولًا مُنكراً لا يرضي الله جَلَّوَعَلَا. قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: سمعتُ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**لاَ تُطْرُونِي**» أي لا تُبالغوا في مدحي.

«**كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**» [١٠].

عبادَ الله: هذا طرفٌ من سيرته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فيه التنبيه علىٰ ضرورةِ تعظيم كلام الله جَلَّوَعَلَا والقيامِ بحقه، فعلىٰ الصادق في عبوديتهِ لربه جَلَّوَعَلَا أن يسعىٰ في تعلمِ هذا الحق، وفي العمل به عملًا بقول ربنا جَلَّوَعَلَا: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [مُحَمَّد: ١٩].

أقولُ ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

---

(٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢١١)، وأخرجه أبو داود (٤٨٠٦).

(١٠) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِ العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد...

أيها المسلمون: إنَّ العناية بحسنة التوحيد لا إله إلا الله، والاهتمامَ بحق الله جَلَّوَعَلَا فيه اشتغالٌ بأحب الأعمال إلىٰ الله وأفضلها عنده، كيف لا والإيمان بالله وتوحيده هو الغاية من خلق الخلق وإيجادهم علىٰ هذه الدنيا.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦].

لذا عباد الله فإن المحقق لحسنة التوحيد لا يُقدم شيئًا من محابه وهوىٰ نفسه علىٰ ما يُحبه الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

بين عينيه قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لاَ يَجِدُ أَحَدٌ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَحَتَّىٰ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ، وَحَتَّىٰ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا** »[١١].

المحبُ لحسنةِ التوحيد متوكلٌ علىٰ الله في أمورهِ كلها، وواثقٌ به في شؤونهِ جميعها؛ في جلب المنافع ودفع المضار، شعاره الذي وقر في قلبه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلَاق الآية:٣].

المحسنُ في توحيد الله دائم اللجوء إلىٰ الله، والاستعاذةُ به، والاعتصام به جَلَّ وَعَلَا من كل شر، فلا يلجأُ إلىٰ سحرة أو مشعوذين، ولا إلىٰ كهان أو منجمين، واضعًا بين عينيه قول ربه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفَلَق: ١ - ٢].

---

(١١) أخرجه البخاري (٦٠٤١).

المحسن في توحيد ربه جَلَّ وَعَلَا يحفظ قلبه، فلا يُسيء الظن بربه؛ لأنَّ سوء الظن بالله من صفات المشركين والمنافقين المخلين بحسنة التوحيد، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفَتح: ٦].

المؤمنُ حقًا عباد الله هو الذي ينسب النعم إلىٰ خالقه، ويعترف بفضله، فلا يُضيفها إلىٰ غيره يخشىٰ علىٰ نفسه أن يكون ممن قال الله فيهم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النَّحل: ٨٣].

الموحدُ الصادق في توحيده هو الذي إذا نزلت به المصيبة علم أنها من عند الله؛ فيرضىٰ بها، ويُسلِّم لها، ويصبر علىٰ بلواه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾[التَّغَابُن الآية: ١١].

والمؤمن المحقق لتوحيد الله بقلبه وعمله يخاف علىٰ

نفسه من أعظمِ ذنبٍ عصي الله به، ألا وهو الشرك بالله جَلَّوَعَلَا، أسوته في ذلك الخليلُ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ حيثُ أخبرَ الله جَلَّوَعَلَا عنه بقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥].

يقول هذا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع أن الله جَلَّوَعَلَا برأه من الشرك ووصفه بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النَّحل: ١٢٠- ١٢١].

ومن يأمنُ البلاء بعد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟!

هذه عباد الله بعض صفات أهل التوحيد والإيمان، جديرٌ بكلِ مسلم أن يعلمها، وأن يعملَ بها، وأن يدعو إليها، فبها تُنال سعادةُ الدنيا والآخرة، وينشرحُ الصدر، وتطيبُ النفس، وتُغفر الذنوب، وتُرفع الدرجات.

هذا وأسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه الحسنة وصفاته العلىٰ

أن يجعلني وإياكم من المحققين لتوحديه، الداعين إليه، العاملين به، فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا، وانصرنا علىٰ القومِ الكافرين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، المؤمنين والمؤمنات، الأحياءِ منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا أخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية